



يونيو 2024

موجز سياسات

المناهج التعليمية في سوريا: ضحية خفية للصراع أم سلاح للحرب؟

تشير الأدلة إلى أن المناهج الدراسية في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام والمناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة في سوريا مسيسة بشكل كبير وتساهم إلى حد كبير في التفكك الاجتماعي بدلاً من الحفاظ على التماسك الاجتماعي.

من بين القطاعات العديدة التي دمرها الصراع السوري المستمر منذ ثلاثة عشر عامًا، تكبد قطاع التعليم خسائر فادحة، جعلته مركز انتباه برامج التمويل ووكالات التنمية والأكاديميين على حد سواء. لقد وقع التعليم في سوريا، الذي خضع لعقود من الحكم السلطوي، في شرك الصراع وتم استغلاله من قبل الأطراف المتحاربة، بكل ما يشمل القطاع من مبانٍ مدرسية وطواقم تدريسية وطلاب. وفي الوقت ذاته، استخدم التعليم كوسيلة للمقاومة والصمود من قبل النشطاء والأكاديميين، فضلاً عن كونه أداة للتغيير الاجتماعي. بعبارة أخرى، للتعليم في سوريا وجوه عديدة.

يقدم هذا البحث دراسة مقارنة فريدة حول مناهج المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية (مرحلة التعليم ما قبل الجامعي) في المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة وتلك الخاضعة لسيطرة النظام في سوريا منذ بداية الصراع في عام 2011. وتسلط ورقة السياسات هذه الضوء على بعض النتائج الرئيسية لهذا البحث، بهدف إبلاغ صانعي السياسات والممولين وبناء السلام بالفرص المتاحة أمامهم لاستخدام التعليم كأداة لتحقيق السلام في سوريا.

النتائج الرئيسية

- المناهج الدراسية في سوريا مسيسة بشكل كبير من قبل الحكومتين وتؤدي إلى تعزيز الانقسامات المجتمعية. وهذا التلاعب بالتعليم يعزز سيادة السلطات ويعيد تأهيلها السياسي على حساب التماسك الاجتماعي وتسوية الخلافات.
- أدى الفراغ في السلطة الذي خلفه الصراع إلى خصخصة التعليم في كلتا المنطقتين، مما أتاح فرصاً لطرح روايات بديلة قد تؤدي أيضاً إلى تعزيز الانقسامات داخل نظام التعليم بذاته.
- تستخدم الجهات الخارجية، خاصة روسيا وتركيا، التعليم الرسمي وغير الرسمي كأداة للنفوذ في سوريا. وهذا التأثير الخارجي يفاقم الفجوة التعليمية ويعيق التماسك الاجتماعي.
- هناك حاجة ملحة لإصلاحات تعليمية تعطي الأولوية لجهود بناء السلام، تتطلب هذه الإصلاحات إشراك مختلف أصحاب المصلحة، وتعزيز الشمولية للتغلب على الانقسامات العميقة الجذور في المجتمع السوري.

التوصيات للمجتمع الدولي وصانعي السلام

- **تسهيل الحوار والتعاون:** تعزيز تبادل المعرفة بين مختلف أصحاب المصلحة في قطاع التعليم لتعزيز التفاهم والمصالحة والسلام الأهلي والوحدة (داخل مناطق الحكم المختلفة).

- **إنشاء شراكات ودعم نهج متعدد الأطراف:** تشجيع الشراكة بين المنظمات الدولية والمحلية ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية لضمان التأثير المستدام للبرامج والسياسات التعليمية، وذلك لأن البرامج والسياسات التعليمية تتطلب نهجاً شاملاً وتعاونياً.

- **دعم تطوير مناهج شاملة:** يمكن استخدام التعليم كأداة لتعزيز الانقسامات أو كأداة لتعزيز التماسك الاجتماعي ونشر التفكير النقدي. ولهذا فإن زيادة التمويل والدعم مطلوبان لتعزيز مناهج شاملة وموجهة نحو السلام في سوريا.

- **توفير التدريب والموارد لبرامج تعليم السلام:** تخصيص موارد لتدريب المعلمين على البرامج التي تركز على بناء السلام والتعايش وحل النزاعات وكذلك ممارسة التدريس الشامل للتنوع لتطبيق المناهج الجديدة بفعالية، على أن تكون هذه التدريبات ملائمة للسياق العام وقابلة للتطبيق في بيئة الصراع. كذلك لا بد من بناء مهارات الطلاب وأعضاء المجتمع المشاركين في العملية التعليمية وتدريبهم على قضايا حل النزاعات والتواصل بين الثقافات.

- **الانخراط مع المجتمعات المحلية:** يجب إشراك المجتمعات المحلية في عملية صنع القرار بشأن السياسة التعليمية وممارستها لضمان أنها شاملة وتمثل الأصوات المتنوعة. كما يجب أن يكون محتوى المناهج الدراسية مراعيًا للثقافة والأعراف الاجتماعية وملائماً لاحتياجات الطلاب وأسرهم.

التوصيات للحكومة السورية المؤقتة

- **تعزيز المناهج الشاملة:** تشجيع المدارس العامة والخاصة على مراجعة المناهج الدراسية لتعزيز الشمولية والمصالحة والتماسك المجتمعي من خلال دمج وجهات النظر وتوحيد الرؤية التاريخية متضمنة مناطق السيطرة الأخرى في سوريا.
- **تحسين تدريب المعلمين:** التعاون مع المنظمات المحلية والدولية لتوفير تدريبات للمعلمين على استراتيجيات حل النزاعات وأساليب التدريس الشاملة لخلق بيئة تعليمية أكثر سلمية.
- **دعم تعليم السلام:** الدعوة لتنفيذ برامج تعليم السلام داخل المدارس لتعليم مهارات حل النزاعات والتسامح وفهم الثقافات المختلفة. يمكن تنفيذ مثل هذه البرامج من خلال الرياضة والفنون الإبداعية.
- **التعاون مع الشركاء الدوليين:** التعاون مع الداعمين والمنظمات الدولية لدعم المبادرات التي تركز على المصالحة والتعايش والتماسك الاجتماعي داخل النظام التعليمي.

التوصيات للحكومة السورية

- **تغيير الرواية:** الابتعاد عن الرواية التي تُنشر في الكتب المدرسية والتركيز على الاعتراف بتنوع سوريا والحاجة إلى الشمولية لبناء سوريا موحدة.
- **توحيد المناهج الدراسية:** بدء عملية توحيد المناهج الدراسية عبر سوريا وجميع مناطق السيطرة لتعزيز الشعور بالتماسك والوحدة الوطنية. يجب أن تكون المناهج الموحدة شاملة وتعترف بدور جميع الشخصيات -بغض النظر عن العرق أو الدين أو الأيديولوجيا- في تشكيل الأمة السورية.
- **تعزيز التماسك الاجتماعي:** استخدام التعليم لتعزيز التماسك الاجتماعي في جميع أنحاء سوريا. يمكن تنفيذ مثل هذه المبادرات من خلال الرياضة والفنون الإبداعية، فمن المفترض أن تجمع هذه المبادرات الطلاب السوريين على اختلاف خلفياتهم أو أيديولوجياتهم. يمكن أن يشمل ذلك أيضًا برامج تبادل مع طلاب من دول منطقة الشرق الأوسط.
- **التعاون مع الشركاء الدوليين:** تقليل القيود على وصول المنظمات الدولية إلى السوريين، حيث يلعب هؤلاء الشركاء دورًا حاسمًا في إعادة إعمار البلاد، بما في ذلك قطاع التعليم، وتعزيز السلام في سوريا ما بعد الصراع.

البحث

النتائج

في المناطق التي يسيطر عليها النظام، تم تعديل المناهج المدرسية تحت توجيه سياسي شديد

تواصل النظام السوري بشكل يومي مع المدارس، خاصة في بداية الأزمة، للسيطرة على السردية المنتشرة بين الطلاب. وقد مارس هذه السيطرة المشددة ليجعل من احتجاجات عام 2011 تبدو كمؤامرة من الغرب وإسرائيل ضد سوريا. كما عمل النظام في تعديلات المناهج على نحو أي ذكر سابق للدول المجاورة التي دعمت المعارضة معتبراً أنها متحالفة مع الغرب الاستعماري، مثل قطر وتركيا. كما قام بإزالة أي إشارات سابقة للأفكار الثورية، خاصة في منهاج الأدب العربي. وبالطبع تمت هذه التعديلات تحت إشراف سياسي شديد من قبل لجان التأليف والتعديل التابعة لوزارة التربية والتعليم السورية. ووصف عدة أعضاء في هذه اللجان المعايير الأخلاقية الضعيفة في عملية تطوير المناهج. فعلى سبيل المثال، كان يتم تشجيع أعضاء هذه اللجان على الاعتماد على "النسخ واللصق" من مناهج البلدان الأخرى.

استخدم النظام السوري مناهج المدارس لإعادة تعريف البلاد وتاريخها وولاعاتها

شهد تطوير المناهج في المناطق التي يسيطر عليها النظام إضافة اللغة الروسية كلغة أجنبية ثانية إلى جانب اللغة الإنجليزية في عام 2013/2014. وشهد التعليم الديني أيضاً المزيد من التحولات، حيث تم استبدال الدروس الدينية بدروس حول الأخلاق العامة وذلك تماشياً مع مشروع الدولة العلمانية لبشار الأسد. كما يمكن تفسير هذا التغيير أيضاً على أنه خطوة من الأسد لاتخاذ بعض المسافة عن الإسلام بما يتناسب مع السرد الرسمي الذي يقول إن استخدام النظام السوري للعنف خلال الصراع كان يهدف فقط إلى محاربة الإسلاميين الإرهابيين.

استخدم النظام السوري أيضاً التعليم لإعادة رسم الحدود الوطنية، حيث تمت إعادة دمج المنطقة التركية في لواء إسكندرون مع سوريا في جميع الكتب المدرسية التي نشرت بعد عام 2012-2013. وبالمثل، تحول التركيز في كتب التاريخ إلى التاريخ القديم لسوريا، مما أدى إلى محو قرون من التاريخ الحديث. وتعكس هذه الخطوة ابتعاد النظام عن جيرانه العرب والمسلمين الذين يعتبرهم خونة لأنهم وقفوا إلى جانب المعارضة.

يقارن هذا البحث حالات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي في المناطق الخاضعة للنظام السوري وفي المناطق الخاضعة للحكومة السورية المؤقتة في شمال غرب البلاد.

تم إجراء 40 مقابلة إجمالاً -20 مقابلة في كل من منطقتي الحكم- شملت معلمين، ومشرفين تربويين، ومطوري المناهج، وأسر الطلاب. وقد أجريت جميع المقابلات من قبل المؤلفين (شخصياً في المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة وعبر الهاتف في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام لأسباب أمنية) بين أكتوبر 2022 ويوليو 2023. هدفت هذه المقابلات شبه المنظمة للحصول على فهم أعمق لعملية صياغة المناهج الدراسية، خاصة الدوافع والقيود التي تحكم هذه العملية. كما قدمت رؤى حول تصورات وتجارب بعض السوريين في التعامل مع التعليم قبل وأثناء الصراع.

يعتمد البحث أيضاً على تحليل محتوى استقرائي للمناهج المدرسية الرسمية من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر (من بداية التعليم الابتدائي إلى نهاية التعليم الثانوي) المنشورة بين عامي 2011 و2022. شمل التحليل عدة كتب دراسية لتوفير صورة شاملة للتعليم في سوريا، مع التركيز على مقررات اللغة العربية والأدب العربي والتاريخ والجغرافيا، والتربية المسيحية، والتربية الإسلامية، والقومية. تمت مقارنة نصوص هذه المناهج بواسطة برنامج لتحديد التعديلات المحتملة التي طرأت على الكتب الدراسية في كل عام بما يتناسب مع تطور وتيرة الصراع. وذلك بهدف الكشف عن السرديات المحتملة -أو عدم وجودها- التي قد تزيد من الصراع أو قد تسهم في تعزيز السلام بين السوريين.

أخيراً، يستند التحليل أيضاً إلى التجربة الشخصية المباشرة لأحد المؤلفات والتي كانت طالبة تحت حكم حافظ الأسد، ومن ثم مدرسة لمختلف الصفوف تحت حكم بشار الأسد، وناشطة في مجال التعليم في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة السورية المؤقتة بعد نزوحها بسبب الصراع. وقد استخدمت هذه العدسة الثالثة من التحليل لاستكشاف مدى تفاعل التعليم مع السلام أو مع الصراع في سوريا منذ بداية التسعينات حتى اليوم.

في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة السورية المؤقتة كانت المناهج المدرسية محط نزاع

بعد تأسيسها في سبتمبر 2013، قامت وزارة التربية التابعة للحكومة المؤقتة بجعل عملية تعديل المناهج المدرسية مركزية. وبدلاً من إنشاء مناهج جديدة من الصفر، استخدمت مؤسسات المعارضة التعليمية المناهج التي تُدرس في مناطق سيطرة النظام بعد التعديل عليها. ولكن نقص الموارد لطباعة كتب جديدة قد عرقل العملية بشكل كبير. وكان من أهم التعديلات التي اعتمدها مناطق سيطرة المعارضة إلغاء مادة القومية التي تقوم على تمجيد الأسد ومنجزاته.

خلال نفس الفترة، شهدت المناطق التي تسيطر عليها المعارضة تطور بعض الحركات الدينية بدفع من فصائل إسلامية مسلحة (بعضها أميل إلى التطرف)، وقد استغلت هذه الفصائل انقطاع العملية التعليمية لإنشاء معاهد دينية وتطوير مناهج خاصة بها. كما استخدمت هذه المعاهد كوكالات للتجنيد، حيث سارع عدد كبير من طلاب هذه المعاهد الدينية إلى الانضمام إلى صفوف المجموعات المسلحة المسؤولة عن تعليمهم.

ويعد هزيمة هذه المجموعات وتراجع الصراع نسبياً من عام 2017 إلى 2020 تمكنت الحكومة المؤقتة والمجالس المحلية المرتبطة بها من استغلال الفرصة لتأكيد سلطتهم وسيطرتهم على الملف التعليمي. ولكن عجزهم عن تقديم بديل فعال عن النظام السوري سمح لتركيا بلعب دور متزايد الأهمية في الملف التعليمي، حيث تعتبر تركيا الضامنة لعملية السلام من جانب المعارضة السورية.

يعد الفراغ السياسي في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة السورية المؤقتة التحدي الأكبر لتطوير نظام تعليمي موحد

منذ بداية العام الدراسي 2018/2019، أصبح بإمكان الطلاب السوريين في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة المؤقتة الاختيار بين الحصول على شهادة ثانوية صادرة عن الحكومة السورية المؤقتة (الائتلاف) أو الحصول على

شهادة صادرة عن المجالس المحلية المنضوية تحت إشراف مديرية التربية التركية. تعتمد كل شهادة على امتحانات نهائية خاصة بها ونظام تقديم مختلف. يقوم الطلاب السوريون باختيار نوع الشهادة استناداً إلى الجامعة التي يأملون الانضمام إليها، حيث لا تقبل جميع الجامعات في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة الشهادة التركية (شهادة المجالس).

تمت إضافة اللغة التركية كلغة ثانية إلزامية في العام الدراسي 2018/2019 في المدارس السورية التي تعد الطلاب للحصول على الشهادة التركية. كما تم تأسيس عدد من المعاهد الدينية التابعة إلى المجالس المحلية السورية والتي تربطها علاقات قوية مع وزارة الأوقاف التركية. وتهدف هذه المعاهد إلى تعزيز فكر إسلامي بديل عن فكر التنظيمات الإسلامية المتطرفة التي انتشرت خلال الصراع. وقد تم التشجيع على إحياء هذه الثقافة الدينية من قبل الحكومة المؤقتة، كما تم إثراء كتب التربية الدينية لتشمل كتابين الأول لدراسة القرآن الكريم والثاني لدراسة التعاليم الإسلامية.

فراغ السلطة الناجم عن الصراع أدى إلى خصخصة التعليم في كلتا المنطقتين

إن وتيرة التجديد في التعليم كانت أسرع في المؤسسات التعليمية غير الرسمية في المناطق التي يسيطر عليها النظام، حيث أصبح التعليم غير الرسمي فرصة لروسيا وإيران لنشر تأثيرهما في المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية. فقد انتشرت المراكز الثقافية الروسية وانتشرت أيضاً الحوزات الشيعية والتي استخدمت بدورها لنشر خطابات طائفية وإقصائية.

في حين أن مثل هذه الخطابات لم تعد منتشرة في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة المؤقتة، إلا أن المراكز الثقافية التركية تساهم في التعزيز المستمر للثقافة التركية (كما يحصل في المدارس الثانوية التي تدرّس الشهادة التركية) وهذا ما يبدو جلياً من خلال استبدال التاريخ الإسلامي المتنوع الموجود في المنهاج القديم بالتركيز على الحقبة التاريخية للإمبراطورية العثمانية.

المقارنة

شهدت المناطق التي يسيطر عليها النظام والمناطق التي تسيطر عليها المعارضة تطورات متشابهة خلال ثلاثة عشر عامًا من النزاع السوري.

- استخدمت كلتا الحكومتين التعليم كوسيلة لتعزيز روايتها الرسمية حول النزاع والبلاد والمنطقة، وعن طريق هذا التلاعب تم إيصال المعرفة المطلوبة.

- تستخدم كلتا الحكومتين التعليم لإعادة تشكيل هوية الطالب السوري. فبينما تشجع الحكومة المؤقتة الطلاب على استعادة تراثهم الديني المشترك، يتخذ النظام السوري موقفاً قوياً ضد العرب والمسلمين. ويظهر استخدام خطاب الكراهية بشكل أكبر في مناهج المناطق التي يسيطر عليها النظام. ففي بداية النزاع تجسد هذا الخطاب بالصورة النمطية "للآخر" ومصطلحات مثل "السوري الموالي" مقابل "المعارض المتأمر" مما يؤثر على فكرة التعايش ويجعلها مستحيلة. ومع مرور الوقت، أفسح الاستقطاب المجال أمام سياسة الإلغاء (الإقصاء) حيث فقد الأعداء المفترضون للدولة السورية -هم وجميع من هم في صفهم- مكانتهم الخاصة ليختفوا تدريجياً من الكتب المدرسية والخرائط والعقول.

- كل حكومة كانت ترى أن التشكيك بسلطتها كان سببه نهوض التعليم غير الرسمي، وإشراك الدول الخارجية في شؤونها، تركيا وروسيا بشكل رئيسي. فمن ناحية يعد التلاعب في المناهج المدرسية والنظام التعليمي من قبل الجهات الداخلية والخارجية مساهماً رئيسياً في التفرقة الاجتماعية في البلدان التي تعاني من الصراعات. ومن ناحية أخرى، قد يوفر تعدد السرديات وجهات نظر بديلة سيستخدمها الطلاب لاحقاً لتطوير الوعي الذاتي والعلاقاتي.

- في كل منطقة وفي جميع أنحاء سوريا، يؤدي التشرذم في الحكم لتحميل القطاع التعليمي بذور النزاعات المستقبلية. ومن الممكن أن يؤدي هذا التفاوت الأكاديمي بين المناطق المختلفة وداخلها إلى خلق جيل من السوريين لا يفهمون بعضهم البعض، بل ويحاسبون بعضهم البعض.

المزيد عن البحث

السقباني وبوجوان (2024): "المناهج التعليمية في سوريا ضحية خفية للصراع أم سلاح للحرب؟"، مجلة تعليم السلام. المقالة متاحة باللغة الإنجليزية فقط: [رابط موقع](#)

بوجوان (2022): صعود التعليم الخاص في شمال غرب سوريا (موجز السياسات)، منصة أدلة السلام وحل النزاعات. موجز السياسات متاح باللغة الإنجليزية فقط: [رابط موقع](#)

المزيد عن المؤلفين

نسرين السقباني معلمة ومدربة سورية، وناشطة في مجال التعليم. وهي متخصصة في تدريس اللغة الإنجليزية للطلاب الناطقين بغيرها، ولديها خبرة في تطوير المناهج الدراسية. تؤمن نسرين أن التعليم هو أهم أداة لتحقيق التغيير والتماسك المجتمعي. إلى جانب عملها كمعلمة، فهي باحثة في الشؤون الاجتماعية في شمال غرب سوريا.

جولين بوجوان زميلة أبحاث ما بعد الدكتوراه في جامعة إندبيرة. وهي باحثة شغوفة ومعلمة تتمتع بخبرة متعددة التخصصات في مجال دراسات السلام والصراع. تتمتع جولين بخبرة في الجهات المسلحة غير الحكومية، والإسلام السياسي، والتطرف العنيف، وإدارة الصراعات، ولديها اهتمام كبير بالممارسات البحثية التعاونية والمسؤولة. وهي تجمع بين الخبرة الأكاديمية وصنع السياسات القائمة على الأدلة وإدماج المجتمع ومشاركته، وهو ما طورته على مدى تسع سنوات من الخبرة الميدانية في جميع أنحاء أوروبا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

لمزيد من الأسئلة حول الدراسة، يرجى الاتصال بـ
جولين بوجوان عبر البريد الإلكتروني التالي:

J.Beaujouan-Marliere@ed.ac.uk

المناهج التعليمية في سوريا: ضحية خفية للصراع أم سلاح للحرب؟

شكر وتقدير

يدعم هذا البحث منصة أدلة السلام وحل النزاعات الممولة من قبل مساعدات المملكة المتحدة من مكتب الخارجية والتنمية الدولية البريطاني لصالح الدول النامية. وإن الآراء المذكورة في هذا البحث هي تلك التي تعبر عن مؤلفي هذا الموجز السياساتي. لا شبيء في هذا العمل يعبر عن رؤية رسمية لحكومة المملكة المتحدة. إن أي استخدام لهذا العمل يجب أن يكون بعلم الكتاب ويعلم منصة أدلة السلام وحل النزاعات.

نحن ممتنون للشركاء السوريين الذين وافقوا على مشاركة المعلومات ذات الصلة بالبحث، وفي الوقت نفسه يرغبون في عدم ذكر أسمائهم مباشرة. كما نشكر فريق أزرق للرسم الذي زودنا بالرسم التوضيحي من أحد أعماله الفنية الأصلية.

PeaceRep

(PeaceRep) هو اتحاد بحثي مقره جامعة إدنبرة. يحنُ بحثنا على إعادة التفكير في عمليات السلام والانتقال في ضوء متغيرات الصراع، ومتطلبات التضمين المتغيرة، والتغيرات في أنماط التدخل العالمي في عمليات إدارة الصراع والسلام/المصالحة/الانتقال.

يشمل أعضاء التحالف منظمة موارد المصالحة، مركز الثقة والسلام والعلاقات الاجتماعية (جامعة كوفنتري)، الديالكتيك، كلية القانون-إدنبرة، مجموعة أبحاث الصراع والتربية في كلية لندن للاقتصاد، مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية IDEAS، مركز مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية للشرق الأوسط، جامعة كوينز بلفاست، جامعة سانت أندروز، جامعة جلاسكو، جامعة ستيرلنغ، مؤسسة السلام العالمي في جامعة تافتس.

يتم تمويل PeaceRep من قبل التنمية الدولية في المملكة المتحدة، حكومة المملكة المتحدة.

PeaceRep: منصة أدلة السلام وحل النزاعات

PeaceRep.org | peacerep@ed.ac.uk | Twitter @Peace_Rep_

كلية الحقوق، جامعة إدنبرة، الكلية القديمة، ساوث بريدج، EH8 9YL

© 2024